

رمضان والتوبة إلى الله

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله التواب الرحيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الموصوف بكونه بالمؤمنين رحيمًا .

أما بعد :

يقول المولى جل وعلا : **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** النور/31 ، ويقول أيضاً : **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً** التحريم / 8 ، فالتوبة ليست خاصة بالمتذنب الجاني فحسب ، بل هي عامة في حق جميع المؤمنين الذين يريدون الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

فإن من أعظم نعم الله عز وجل على عباده أن جعل باب التوبة مفتوحاً للتائبين ، وجعله فجراً تبدأ معه رحلة العودة إلى الله جل جلاله بقلوب منكسرة، ودموع منسكية ، وجباه خاضعة ، وأعناق متذلة .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** أخرجه مسلم (4/2113)، (2759) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : **من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه** أخرجه مسلم (4/2076) (2703).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغفر** أخرجه أحمد (2/132، 1532) ، والترمذي (3537) ، وحسنه الألباني في "صحيح الترغيب" (3/218) (3143) ، و"المشكاة" (2343، 2449) .

فيا أخي الكريم : اعلم إن رمضان فرصة عظيمة للتوبة إلى الله ، والرجوع إليه ، وتجديد العهد مع خالقك سبحانه وتعالى ، واحذر أن تكون من المغبونين وذلك إن انقضى رمضان ولم يغفر لك عياداً بالله من ذلك .

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **أتاني جبريل فقال : يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات ولم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله . قل : آمين . فقلت : آمين** أخرجه ابن حبان في "صحيحه" والطبراني في "الكبير" ، انظر "صحيح الجامع" (75).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ...** أخرجه الترمذي (3545) وصححه الألباني في "الإرواء" (1/36)(6) ، و"المشكاة" (7،9) .

فهذا شهر رمضان ، شهر بركة وخير، حباه الله بفضائل عديدة ، وخصال حميدة ، فهو شهر القرآن ، وشهر الإحسان ، وشهر التوبة وتكفير الذنوب والخطايا ، فيه تنزل الرحمات ، وترفع الدرجات ، وتفتح فيه أبواب الجنان ، وتغلق أبواب النيران ، وتصفد فيه مردة الشياطين .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين** ، وفي رواية مسلم: **فتحت**

أبواب الرحمة ، وغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين رواه البخاري (1898) ، ومسلم (1079) .

فيا أخي الحبيب : جد في التوبة ، وسارع في الرجوع والأوبة ، فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد ، فبادر بالتوبة والفرار إلى الله ، قبل أن تقضي عليك الذنوب ، و تتلفك المعاصي والآثام ، فاستيقظ من سباتك، وأفق من غفلتك ، فالأيام تمضي وتمر ، فاحذر أن تكون من المغبونين ، بزهدك في جنات النعيم ، فسارع إلى التوبة والندم على ما فات .

فهذا سيد الأولين والأخريين رسولنا صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، لا يفتر أن يتوب إلى الله ويستغفره في اليوم مرات عديدة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** أخرجه البخاري (6307) ، وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإنني أتوب في اليوم مائة مرة** أخرجه مسلم (2702) .

فليكن لك في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة والقذوة الطيبة ، فلا تؤجل التوبة ولا تسوف بها ، ودع عنك "سوف" وأخواتها .

نعم وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور آل عمران /185 ، فيا مضيعاً يومه وقد ضيعت أمس ، قتلت نفسك بالمعاصي والذنوب ، ارجع إلى مولاك ، واندم على ما فرطت في جنب الله ، و أسكب الدمع على أعتاب التوبة ، وتذلل إلى ربك واطلب منه الإقالة ، تجده فرحاً بك مسروراً .

نعم إذا تبت إلى الله ورجعت إليه فرح بك فرحاً شديداً ، أشد من فرح ذلك الرجل الذي عادت إليه دابته بعدما يئس من رجوعها ، أتدري ما قصة هذا الرجل ؟

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة ، فأفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه ، فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها ، وقد أيس من راحته ، فبينما هو كذلك ، إذ هو بها قائمة عنده ، فأخذ بخطامها ، ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدي وأنا ربك ، أخطأ من شدة الفرح** رواه البخاري (6309) ، ومسلم واللفظ له (2747) .

أرأيت يا عبد الله كيف فرح الله بك حين تبت ورجعت إليه ، وأنت من أنت ؟ أنت العبد الفقير الذليل الضعيف الذي ليس له حول ولا قوة ، وهو من هو ؟ هو الله ملك الملوك ، وجبار السماوات والأرض ، بيده ملكوت كل شيء سبحانه وتعالى .

فيا أخي لا تقنط من رحمة الله ، واعلم أن الله جل جلاله لا يتعاضمه ذنب أن يغفره ، ولا عبد مذنب جاء إليه أن يقبله فهو سبحانه وتعالى واسع العفو ، كثير الغفران ، غافر الذنب وقابل التوب ، سبحانه ، وسعت رحمته كل شيء .

عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **قال الله : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة** أخرجه الترمذي ، وحسنه الألباني في "الصحيحة" (1/249-250) (127) ، و"المشكاة" (4336).

فيا أخي :

يا من تاب الله عليك من ترك الصلاة إياك والتفريط في أدائها بعد ذلك .

ويا من عافاك الله من سماع الأغاني الماجنة ، ومشاهدة الأفلام الفاسدة ، والمسلسلات الهابطة ، إياك والرجوع إلى مثل تلك الذنوب العظيمة ، والبلايا الخطيرة .

ويا من أنعم الله عليك بترك شرب الدخان وعيره من الخبائث إياك أن تعود إليها مرة أخرى بعد أن أنقذك الله من شرها ، وشر عواقبها الوخيمة .

ويا من يصوم عن ما أحل الله له ، ولا يصوم عن ما حرم الله عليه من أكل الربا ، وأكل أموال الناس بالباطل ، بادر بالتوبة قبل أن تفوت الفرصة .

وفي الجملة أقول لك :

احمد الله على أن بلغك شهر رمضان ، ومن عليك فيه بالتوبة والغفران ، وأسأله سبحانه وتعالى الثبات على الحق حتى الممات .

وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .